

الخطاب الديني والتعايش السلمي



أ.م.د. رشيد حسين الشمري
جامعة بغداد / كلية الإعلام

لقد ركزت الأديان السماوية جميعها في دعواتها ونصوصها على حقائق مشتركة الا وهي، الدعوة الى التمسك بالقيم الأخلاقية والإنسانية في التعامل مع الناس.

وبغض النظر عن التفاصيل والجزئيات في أداء الطقوس والعبادات والعقائد الخاصة بكل دين الا انها ركزت على الخلق الحسن والصدق والأمانة والإخلاص والتسامح، وكل ذلك جاء بدعوى التعايش والذي كان في مقدمة ما تعمل عليه.

الأديان والمجتمع

لقد جاء النصح والتحذير الذي وجهته الأديان الى المجتمعات والذي لا يقف عند حدود معينة، بل شمل كل مفاصل الحياة اليومية وبالأحرى اليومية، وإذا كان الله سبحانه وتعالى، قد وعد بان ينظر الى اعمال الفرد في الحياة الدنيا في الآخرة، فهذا موقف احادي بين الفرد وربيه، ولكن موقف الفرد مع الآخر في الحياة الدنيا هو أيضا من مسببات الثواب والعقاب الذي يحصل عليه الإنسان في نهاية الامر.

وهنا نتساءل كيف يحصل الانسان على حسنات العمل الصالح ورضا الناس؟

- الجواب على ذلك يكمن بالدرجة الاولى في تعامله مع الاخرين وبما فيه كلامه وطريقة تعايشه وقبوله للآخر .
- وبذلك يكون التعايش يتجاوز العقيد واللون والعرق ويضمن الاطار الاجتماعي الواحد

والذي يسمو فيه القانون والأعراف والاعتراف بالأخر، فلو عدنا الى النشء للمجتمعات القديمة قبل الإسلام نجدها احتوت على اهواء وعبادات وطقوس والهة مختلفة، فكل قرية لها معبدها الخاص تقريبا، وكثر ما كانت تحوي المتناقضات، إلا انها عاشت حياتها واستغت عليها مبادئ التعايش والتسامح. نتيجة بعد النظر لعقلاء القوم وإشاعتهم روح المحبة والتعاون .

اذن التعايش والتسامح من المبادئ الأساسية في عيش المجتمع وعنصر فعال في الوحدة الوطنية.

قيم التسامح

هناك الكثير من مفردات التسامح الا اننا نذكر منها:

التعددية	الحرية.	العدالة.	المساواة
التنوع	الحوار.	السلام.	الحب
الاختلاف	التعارف	التعايش	.

ولابد من توضيح ان هذه المفردات وغيرها ان وظفت في الخطاب او التحوار بالتاكيد سجد اذان صاغية عند الذين يهتمون بالسلم والتعايش والاخوة بين افراد المجتمع الواحد .

والتعددية:

حق جميع القوى والاراء المختلفة في التعايش وفي التعبير عن نفسها، والمشاركة في تسيير امور الحياة في الوطن

وتقسم التعددية الى :

- التعددية الدينية : وتعني التعدد في الدين والعقائد ويقر هذا التعدد ان هناك احترام متبادل رغم ما موجود من اختلاف في العقائد.
- التعددية المذهبية : أي ان هناك تعدد مذهبي في إطار الدين الواحد ولا يحق لاي احد نفي الآخر .
- التعددية السياسية: وهذا إقرار بان هناك اعتراف بوجود تنوع في المجتمع .

أشكال التسامح

- الثقافة الجامعة
- اللغة وبما تحتويه من نصوص المحبة والسلام والاحترام.
- تنمية الفرد
- حقوق الإنسان
- الأمن والأمان
- الانصاف والعدالة بين الجميع

وهنا لابد من التذكير ان المنظور الإسلامي اهتم بموضوع المشاركة والتي لا تأتي إلا بعد الاعتراف بالآخر ونمو ثقافة الفرد في المجتمع والتي تعكس الاهتمام والأخذ بالقيم والمبادئ التي تحكم وتربي السلوك الإنساني الرشيد .,ولذلك تتحقق المشاركة محققاً مبدأ المساواة بين المواطنين اذ لا فرق بين الأبيض او الأسود او غني وفقير.....

والفشل الذي تشهده بعض البلدان العربية وبما فيها العراق,في تجسيد التآخي والتعيش الإنساني بين أطراف المجتمع وغيرهم من الأديان ,بل وبين المسلمين أنفسهم في كثير من الأحيان, ليس مرده الضغوط السياسية وحدها,بل هو الرغبة في تحقيق مكاسب سياسية على حساب بقية مكونات المجتمع,وليس الفقر او الأوضاع الاقتصادية بل هو جشع يدفع صاحبه للتكرار للحق بغية الحفاظ على مكتسبات ومصالح,وهو أيضا فهم مشوه من بعض الجماعات الإسلامية للإسلام وطبيعة علاقته بالآخرين

أما التسامح فهو ثمرة للتعايش ونتيجة عنه,فلا يمكن ان يكون التسامح إلا بعد عيش مشترك لجماعة من الناس ,تحمل افكارا وتصورات متباينة,وتمارس عادات متنوعة,وتتنمي لديانات مختلفة....

وتعزيزا لسلامة العلاقات بين الأفراد فقد تعددت الروايات والأحاديث في كافة الأديان وخاصة في الدين الإسلامي والتي تركز على العدالة بين الأفراد وترسيخ المنظومة القيمة والبادئ والتي تبعد الاختلاف عن دائرة الخلاف والنزاع وتهدئ المناخ لسلامة المجتمع ومن هذه الاحاديث الإسلامية وعلى سبيل الاستشهاد (أفضل المؤمنين إسلاما من سلم المؤمنون من لسامه ويده ,وأفضل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا).

والاسلام في محتواة الحقيقي هو حوار بين النصوص الدينية من جهة والحياة الواقعية المتغيرة من جهة اخرى ,او جدل بين ثابت واخر متغير .وبمقتضى هذا جاءى الدعوات الى تجديد الخطاب الديني والتي اصبحت من الامور الاكثر مطالبا والتي يتبناه العديد من المفكرين والمصلحين من مختلف البلدان الاسلامي والتي تجمع بينهم الرغبة

في الإصلاح واشاعة ثقافة العدل والتسامح والاخوة بين المجتمعات ,وكما يسمي المفكرين المهتمين بالتجديد في علم الكلام على الخصوص والذين يوضحون الفرق بين التجديد والاحياء ,فان الاحياء يفيد البعث والإيقاظ الاثارة ,في حين يحيل التجديد الى اعادة بناء علم الكلام وتطويره أي يستجيب لمتطلبات الحياة المتجددة للمجتمعات ,

وانطلاقا من هذه الرؤيا الموضوعية ,فان نتائج تجديد الخطاب الديني والتي يطالب بها مفكر او مجتهد ما يمكن ان تسهم في تحصين البلاد والامة وبما يسهم ايضا في استقرار حاضرها وبناء مستقبلها وفي ضوء ما يحيط بنا من اخطار وتحديات تواجه البلاد الاسلامية ,وبالتأكيد يقع الدور الكبير على مثقفي الامة وعلمائها بان لا يكون الامر تنظيرنا فقط وانما يجب ان يعملوا على شكل واضح وفعال حتى يتضح الامر لعامة الشعب ,وهذا يكون ناتج الخطاب اليومي او توظيف كافة المناسبات الوطنية والدينية وخاصة خطب صلاة يوم الجمعة لما لها من جمهورها وسعة انتشارها لتواجد القنوات الفضائية التي تعمل بدورها ايصال من لم يستطع الاستماع وبالتالي تتسع المشاهدة او الاستماع لما قيل .

واذا كان ما قيل يساهم في صنع ثقافة وطنية تصهر في بوتقتها الفوارق والخصوصيات وتؤسس خطابا يصطلح على انساقه بناء مجتمع المتكاتف المتعاون في كل الامور وبالتالي يسهم كل فرد من موقعه حفظ الوطن وبناء السلم الاهلي ,لان الفرد في الدولة الحديثة ليس وجودا هامشيا بل هو فاعل ومؤثرا وشريك حقيقي في المجتمع تقع على عاتقه العديد من الواجبات تجاه المجتمع والمصالح الوطنية ويتمتع بالحقوق وابرزها الحرية والعيش الكريم والامان .

ومن الواضح ان التشريعات والقوانين التي تنشر في العراق وهذا الحال ينطبق على بقية البلدان التي فيها تنوع سكاني لا تخص المسلمين وحدهم ,بل هي شاملة جامعة لكل مكونات المجتمع من المسلمين وغير المسلمين ,لذا نجد ورود كلمات في كثير من الأحاديث تؤكد على الجار والناس وغير ذلك.....

ومن أهم أهداف المجتمعات هو ترسيخ مبدأ التعاون والمحبة بين كل أطرافهم ,وهذا لن يكون إلا بعد التعايش السلمي والذي ينتج منه المشاركة السياسية والتي تؤدي بدورها في التحكم الشعبي بالقوى الحاكمة او السلطة وخاصة في المجتمعات الديمقراطية .

لذا يكون المجموع او الكل الجماهيري هو الضامن لسلامة النشاطات السياسية

والاقتصادية وكل فعاليات الحياة اليومية. وإذا اختلفت الجماهير وتباعدت في ما بينها وهذا لا يكون الا بعد زيادة التناحر والفرقة وتقاطع المصالح وربما يصل الى الاحتراب والقتال في ما بين المجتمع الواحد وبالتالي هذا لا يكون الا بعد ازدياد الخطاب تطرفا وتناحرا ويصبح التركيز على الفئات الجزئية والمصالح الشخصية لكل مكون متناسين وحدت الوطن والعيش المشترك ،حتى يصل الأمر ما بين المتصارعين وهم من دين واحد كما نشهده الآن في العراق والوطن العربي.

وكما نلاحظ في السنوات الأخيرة الاهتمام الكبير من قبل المواطنين بقضايا المساواة الاجتماعية والحقوق المدنية وإزالة الفوارق العرقية بين الأفراد .

والحقيقة ان هذا المتغير يكون في ذروته عندما تتعدد الأعراق في المجتمع الواحد ولا يوجد التجانس في ما بينهما ,اما المجتمعات المتجانسة وكما تشهده أوروبا لا نجد هناك مؤشر يسعى لتوحيد الخطاب ولا خوف على التعايش السلمي بين أفرادها

اما المجتمعات المأزومة ,نجدها عكس ذلك ما تشهد التصارع الاحتراب بين المكونات ,ولا يخلو هذا من التوظيف السياسي الذي يعمل عليه الساسة من اجل مصالحهم الخاصة والاستفادة من الأوضاع الشاذة او الأزمات في المجتمع ويكونون أبواق تعلن الاختلاف والتفرقة بين أفراد المجتمع الواحد.

فالتعايش السلمي هو الأسلوب الأمثل للحياة الواحدة والأسلوب الصحيح لبناء الإنسان المتضامن,وان عبارة التعايش السلمي بحد ذاتها نداء لتوحيد المجتمع ,مطالبة الابتعاد عن رفض الآخر داخل المجتمع ,فالعراق مثلا ,متنوع وتكمن جمالية في أطيافه المتنوعة من الأزل والتي ساهمت في بنائه ,وهي قادرة على بناءه من جديد .

وما نشهده اليوم من زعزعة الثقة بين اطيافة ما هو الامؤشر على إمكانية خطاب الكراهية والحركات الإرهابية والتي تعمل جاهده على زرع الفتنة بين أطيافه وتعرقل بناء الوطن الديمقراطي الجديد .

ان لإشاعة مفاهيم التعايش والمبادئ الإنسانية واليمقراطيه دور أساسيا في القضاء على التفرد في الرأي وإقصاء الآخر ,أذن الدور الأكبر على القوى الوطنية في البلاد من أحزاب سياسية ودينية ورجالات فكر وخطباء المنابر ان تعمل على إشاعة مفاهيم التعايش السلمي وإنقاذ البلاد من التصادم والتناحر بين المجتمع الواحد مهما تعددت أطيافه.

فالتأكيد على مفهوم الهوية الوطنية وهذه مهمة الجميع وهي بلا شك مهمة كبيرة لقادرة على سد الفراغ أو الأسلوب الذي يستغله أعداء المجتمع

ان الوطن الواحد المتعدد باظيافة يتطلب منا التضحية بالمصالح الضيقة والوقوف بجد وصلابة بوجه كل دعاة التفرقة والهيمنة على الكل وإرجاع البلاد الى العصور القديمة وحكم الاستبداد والخرافة .

ان الولاءات الخاصة حق طبيعي وليس من حق أي فرد او الدولة ان تنفيه او تضعفه اذا ما كان يصب بصالح المجتمع وعمل تحت مظلة الولاء للوطن .ولكن للأسف نشط الخطاب من البعض في ابراز الولاءات الضيقة التي يراد ان تحتل مكان الولاء الاكبر للوطن ,لذا نحن نعيش اليوم هذا التناحر واسالة الدماء ويذهب الابرياء بجريرة هؤلاء المتنافسون او الغلاة بالخطاب والتكفير للاخر , فالولاء للوطن اليوم على حافة الخطر ولا ينفذه الا الاعتدال و الخطاب الجامع للمجتمع الذي يتجاوز الطائفية والعرقية ويحافظ على الوحدة والتنوع العرقي والديني واختم ورقتي بقول للفيلسوف الفرنسي فولتير اذا يقول في التنوع والاختلاف في الرأي (إنني لا أوافق على ما تقول ,ولكني سأدافع حتى الموت عن حقك في ان تقوله)

المصادر

- ١-جون جوزيف ,اللفة والهوية ,ترجمة,عبد النور خرافي,عالم المعرفة,الكويت, ٢٠٠٧.
- ٢-محمد سعيد الأمد ,المستقبلية الإسلامية ,مركز النهرين,بغداد, ٢٠٠٦.
- ٣-بريان باري ,الثقافة والمساواة ,ترجمة,كمال المصري ,عالم المعرفة, الكويت, ٢٠١١.
- ٤- كريم ابو حلاوة ,إشكالية مفهوم المجتمع المدني ,دار الأهالي ,دمشق . ١٩٩٨.